نخبة من كتاب

الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ

ان ما اشتهر به الأستاذ والعلامة المحقق أحمد باشا تيمور المصري من الاريحية والعناية بالعلم ومعاضدة المشاريع الأدبية ولا سيما حفاوته بمجمعنا العلمي وتنشيطه ايانا باستحسان خطتنا ونسخ بعض نوادر مكتبته الثمينة لنا ، وامدادنا برسائل ومقالات رائعة لما يستحق عليه كل ثناء. ومما اتحفنا به نخبة من كتاب (الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ) من تأليف العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن أبي بكر السخاوي المنسوب إلى بلدة سخا من مديرية الغربية في القطر المصري المتوفى سنة ٩٠٢ هـ (١٤٩٦ م) وهو مشهور بمؤلفات كثيرة بلغت نحو مائة وثلاثين بين مطول ومختصر من أهمها (الضوء اللامع في تراجم أهل القرن التاسع) من مخطوطات مكتبتنا الظاهرية في خمسة مجلدات ضخمة مضبوطة و (التبر المسبوك في ذيل سير الملوك) وهو ذيل لكتاب (السلوك لمعرفة دول الملوك) للشيخ أبي العباس تقي الدين المقريزي المتوفى سنة ٨٤٥ هـ (١٤٤١ م) طبعت منه قطعة في مصر . و (الشافي من الالم في وفيات الأمم) وهو في علماء القرنين الثامن والتاسع مرتب على السنين . و (الكوكب المضيء) في تراجم علماء عصره . و (وجيز الكلام في ذيل تاريخ دول الاسلام) لشمس الدين الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ (١٣٤٧ م) . و (ذيل رفع الاصر عن قضاء مصر) لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ (١٤٤٨ م) إلى كثير من الكتب المتفرقة في مكاتب اوربة والاستانة ومصر والشام ومعظمها لم يذكره صاحب (كشف الظنون) .

أما كتاب (الاعلان بالتوبيخ) هذا فهو غريب الأسلوب يقع في النسخة التيمورية النفيسة في ٢٢٦ صفحة تتضمن مباحث رائعة في التاريخ وتعريفه لغة واصطلاحاً ومن مفيد ما في هذا البحث : أن كلمة التاريخ هي (يمنية) عربية وقد سبقه اليه المؤرخ الدمشقي ابن عساكر صاحب تاريخ الشام الكبير ودعم هذا الرأي اللغوي العلامة الأثري أحمد بك كمال المصري لأنه وجد كلمة (تاريك) عند المصريين يمنية الأصل وفي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الكتاب مباحث رائعة في التاريخ حتى انه يعد من النوادر وفيه نقد المؤرخين أخصهم ابن خلدون ولقد أجاد تيمور باشا بوصف هذا الكتاب ونشر فصلين منه احدهما « في ما الف في مطلق التاريخ » والثاني « في ما ألف في التاريخ » وذلك بمجلة الآثار لصاحبها عيسى أفندي اسكندر المعلوف أحد أعضاء مجمعنا العاملين « راجع الآثار المجلد٢ صفحة ٦و١٢٥و١٦٦ » . وهذه المقالة الثالثة منه ننشرها الآن بالحرف وهي :

فصل من الاعلان بالتوبيخ

في تاريخ العلم بالبلدان رفعة وانحطاطاً

(فاما المدينة) ذات الهجرة فكان العلم وافراً بها في زمن الصحابة من القرآن والسنن وفي زمن التابعين كالفقهاء السبعة وزمن صغار التابعين كعبد الله بن عمر وابن ابي ذئب وابن عجلان وجعفر الصادق ثم مالك الامام ومقرئها نافع وابراهيم بن سعد وسليمان بن بلال واسماعيل بن جعفر . ثم تناقص العلم جداً بها في الطبقة التي بعدهم ثم تلاشى .

قلت ولا سيما وقد سكنها جماعة من الروافض وتحكموا بها وغلب أمرهم عليها ولكن نشأ بها في القرنين الثامن والتاسع افراد من العلماء في غالب المذاهب والفنون انتفع بهم أهل السنة وفيهم ممن صنف عدد يسير . والسنة بحمد الله الآن معتضدة بمن شاء الله من فضلاء أهلها من قضاتها وغيرهم نفعني الله ببركاتهم .

و (مكة) كان العلم بها يسيراً في زمن الصحابة ثم كثر في أواخر عصر الصحابة وكذلك في أيام التابعين مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وابن أبي مليكة وزمن اصحابهم كعبد الله بن أبي نجيح وابن كثير المقري وحنظلة بن أبي سفيان وابن جريج ونحوهم وفي زمن الرشيد كمسلم الزنجي والفضيل وابن عيينة ثم أبي عبد الرحمن المقري والازرقي والحميدي وسعيد بن منصور في اثناء المائة الثالثة تناقص علم الحرمين وكثر تغيرهما .

قلت وكان للحرم المكي الجمال بافراد مبتدئين للعلم والتصنيف من اهله والواردين عليه في سائر المذاهب وغالب الفنون بحيث كان حقيقاً بالارتحال اليه لذلك فضلاً عن كونه محلاً للنسك .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(وبيت المقدس) نزلها جماعة من الصحابة كعبادة بن الصامت وشداد بن أوس وما زال بها علم ليس بالكثير ثم نقص جداً ثم ملكها النصارى تسعين عاماً ثم أخذت[١]

و (دمشق) من بلاد الشام القطر المتسع المشتمل على عدة بلاد ومدن وقرى نزلها عدة من الصحابة وكثر بها العلم في زمن معاوية ثم في زمن عبد الملك وأولاده وما زال بها فقهاء ومحدثون ومقرئون في زمن التابعين وتابعيهم ثم إلى أيام أبي مسهر ومروان ابن محمد الطاطري وهشام ودحيم وسليمان بن بنت شرحبيل ثم أصحابهم وعصرهم . وهي دار قرآن وحديث وفقه وتناقص بها العلم في المائة الرابعة والخامسة وكثر بعد ذلك ولا سيما في دولة نور الدين وأيام محدثها ابن عساكر والمقادسة النازلين بسفحها . ثم كثر بعد ذلك بابن تيمية والمزي واصحابها .

قلت ثم تناقص شيئاً فشيئاً ولكن فيها الآن بحمد الله بقية يفهمون العلم ويتكلمون به بارك الله فيهم .

(ومصر) وهي بلد عظيم وقطر متسع شرقي وغربي وصعيد أعلى وأدنى . افتتحها عمرو في زمن عمر رضي الله عنها وسكنها خلق من الصحابة وكثر العلم بها في زمن التابعين ثم ازداد في زمن عمرو بن الحارث ويحيى بن أيوب وحيوة بن شريح والليث بن سعد وابن لهيعة وإلى زمن ابن وهب والشافعي وابن القاسم واصحابهم . وما زال بها علم جم إلى أن ضعف ذلك باستيلاء العبيدين الرافضة عليها سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وبنوا القاهرة . وكان قاضيها اذ ذاك أبو طاهر الذهلي البغدادي المالكي فأقروه حتى مات ثم ولوه للاسماعيلية المتشيعين . وشاع التشيع فقل بها الحديث والسنة إلى أن وليها امراء السنة بعد مائتي سنة و نقذها الله من أيديهم على يد الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب رحمه الله فتراجع العلم اليها وضعف الروافض ولله الحمد . وهي الآن أكثر البلاد عمارة بالفضلاء من سائر المذاهب والفنون وفقهم الله .

(والاسكندرية) فتبع لمصر ما زال بها الحديث قليلاً حتى سكنها السلفي فصارت مرحولاً اليها في الحديث والقراآت ثم نقص بعد ذلك . قلت إلى أن عدم إلا

---

(١) استطرد المؤلف هنا لذكر احاديث في فضائل المدينة ومكة وبيت المقدس لم نر فائدة من ذكرها لخروجها عن الموضوع .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من بعض الغرباء وغالبهم مالكيون على أنه قد ولي قضاءها عدة من الشافعية .

(وبغداد) وهي أعظم بلاد العراق بنيت في آخر أيام التابعين وأول من بث بها الحديث هشام بن عروة وبعده شعبة وهشيم . وكثر بها هذا الشان فلم تزل معمورة بالاثر والخير وإلى زمن الامام أحمد ثم أصحابه . وهي دار الاسناد العالي والحفظ ومنزل الخلافة والعلم إلى ن استؤصلت في كائنة التتار الكفرة فبقيت على نحو الربع ثم تزايد خرابها حتى لم يبق فيها من يعرف شيئاً من العلم والامر لله .

(وحمص) نزلها خلق من الصحابة وانتشر بها الحديث زمن التابعين وإلى أيام حريز ابن عثمان وشعيب بن أبي حمزة ثم اسماعيل بن عياش وبقية وابي المغيرة وأبي اليماني ثم اصحابهم ثم تناقص ذلك في المائة الرابعة وتلاشى ثم عدم بالكلية .

(والكوفة) نزلها مثل ابن مسعود وعمار بن ياسر وعلي بن أبي طالب وخلق من الصحابة ثم كان بها ائمة التابعين كعلقمة ومسروق وعبيدة والاسود ثم الشعبي والنخعي والحكم بن عتبة وحمّاد وابي اسحاق ومنصور والاعمش واصحابهم . وما زال العلم بها متوفراً إلى زمن ابن عقدة ثم تناقص شيئاً فشيئاً وهي دار الرفض .

(والبصرة) نزلها أبو موسى الأشعري وعمران بن حصين وابن عباس وعدة من الصحابة فكان خاتمتهم خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصويحبه أنس بن مالك ثم الحسن وابن سيرين وأبو العالية ثم قتادة وأيوب وثابت البناني ويونس وابن عون ثم حماد بن سلمة وحماد بن زيد واصحابهما . وما زال بها هذا الشان وافراً إلى رأس المائة الثالثة وتناقص جداً إلى أن تلاشى .

(واليمن) حلها معاذ وابو موسى وخرج منها ائمة التابعين وتفرقوا في الارض . وكان فيها جماعة من التابعين كابني منبه وطاوس وابنه ثم معمر واصحابه ثم عبد الرزاق واصحابه وعدم منها بعدهم الاسناد . قلت وهو قطر متسع يشتمل على تهامي ونجدي فيه مدن وقرى وشعاب وجبال ولم يزل العلماء به في عصر الصحابة متافرون[1] والائمة اليها يرحلون بل هي في كل عصر في ازدياد من العلم . ولما ظهر مذهب الشافعي واشتهر به رجعوا الى تقليده وكان ذلك في المائة الثالثة كما ذكره الجَنَدي ثم كثر ذلك لا سيما

(١) كذا في الاصل ولعلها يتوافرون .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

في الدول الأيوبية وما بعدها حتى الآن . ويوجد في علمائه الحنفية وكثير من الزيدية وهم بصنعاء ونحوها ومن العثمانية وهم بحضرموت ومن الاسماعيلية وهم بالجبال وغيرهم من الطوائف

(والأندلس) كقرطبة واشبيلية وغرناطة وبلنسية فتحت في أيام الوليد بن عبد الملك وجلب إليها العلم لكن اشتهر بها العلم والحديث في المائة الثالثة بابن حبيب ويحيى ابن يحيى وأصحابهما ثم ببقيّ بن مخلد ومحمد بن وضّاح وخرج منها مثل ابن عبد البر وابي عمرو الداني وابن حزم وأبي الوليد الباجي وأبي علي الغساني ولم يزل بها اثارة من علم إلى أن استولى على قرطبة واشبيلية النصارى فتناقص بها العلم .

(واقليم المغرب) فادناه اقليم افريقية وأمها هي مدينة القيروان كان بها سحنون بن سعيد الفقيه صاحب ابن قاسم وأما بجاية وتلمسان وفاس ومراكش وغالب المدائن فالحديث بها قليل وبها المسائل . قلت وكلهم مقلدون لمالك رحمه الله وطائفة ظاهريون وفيه بقية من علم .

(والجزيرة) أكثر مدائنها يعني كمنبج وبالس والرها خرج منها جماعة من المحدثين (وحران والرقة) وغير ذلك خرج منها حفاظ وأئمة .

(والدينور) خرج منها حفاظ كمحمد بن عبد العزيز وأبي محمد بن قتيبة وعبد الله ابن محمد وعمر بن سهل بن سماعيل المتوفى سنة ثلاثين وثلاثمائة وأبي بكر بن السني .

(وهمذان) دار السنة صار بها علماء من سنة مائتين وهلم جرا وختمت بالحافظ أبي العلاء العطار وأولاده ثم استباحها التتار والجنكزخانية .

(والري) صارت دار علم بجرير بن عبد الحميد وأمثاله ثم بابن حميد وابن مهران الحمال وابراهيم بن موسى وسهل بن زنجلة ثم بابن وارة وأبي زرعة وأبي حاتم وابنه وإلى أثناء المائة الرابعة وذهب ذلك .

(وقزوين) ذكرت في المائة الثالثة وخرج منها محمد بن سعد بن سابق الرازي ثم القزويني وعلي بن محمد الطنافسي وعمرو بن رافع واسماعيل بن يحيى وتوبة ابن عبدل وكثير بن هشام وخلق بعدهم . ثم ابن ماجة وصاحبه أبو الحسن القطان .

(وجرجان) صار فيها حديث كثير في المائة الثالثة باسحاق بن ابراهيم الطلقي ومحمد بن عيسى الدامغاني ثم بابي نعيم بن عدي واسحاق بن ابراهيم السجزي وأبي أحمد ابن عدي وأبي بكر الاسماعيلي والغطريفي وأصحابهم ثم اغلق الباب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(ونيسابور) دار السنة والعوالي صارت بابراهيم بن طهمان وحفص بن عبد الله ثم بيحيى ابن يحيى وابن راهويه ومحمد بن رافع وعبد الرحمن بن بشر وعبدالله بن هاشم والذهلي وأحمد بن يوسف ومسلم وابراهيم بن أبي طالب وأبي عبد الله البوشنجي ثم بابن خزيمة وأبي العباس السراج وابن الشرقي وخلائق . ومازال يرحل إليها في ظهور التتار وآخر شيوخها المؤيد الطوسي ثم مضت كان لم تكن .

(وطوس) صارت دار علم بعد المائتين كان بها محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه وهي بقدر حماة ظناً .

(وهراة) منها أبو رجاء عبد الله بن واقد والفضل بن عبد الله الهروي وأحمد بن نجدة ومحمد بن عبد الرحمن السامي والحسين ابن ادريس ومحمد بن المنذر إلى أن ختمت بأبي روح عبد المعز بن محمد ودثرت .

(ومرو) بلد كبير من أقاصي خراسان خرج منها أئمة فكان بها بريدة بن الحصيب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وطائفة من الصحابة . ثم عبد الله بن بريدة ويحيى بن يعمر وعدة من التابعين ثم الحسين بن واقد وأبو حمزة السكري وابن المبارك والفضل بن موسى وأبو تميلة وعلي بن الحسن بن شقيق وعبدان بن عثمان وأصحابهم ثم نقص ذلك في المائة الرابعة ولم ينقطع إلى خروج التتار ففرغ ذلك .

(وبلخ) صار فيها علماء في أواخر المائة الثانية كعمر بن هارون ومكي بن ابراهيم وخلف بن أيوب وقتيبة بن سعيد وخت[1] ومحمد بن أبان وعيسى بن أحمد العسقلاني ومحمد بن علي بن طرخان ثم تناقص ذلك وتلاشى .

(وبخارى) عيسى بن موسى غنجار وأحمد بن حفص الفقيه ومحمد بن سلاّم البيكندي وعبد الله بن محمد المسندي وأبو عبد الله البخاري وصالح بن محمد جزرة وأصحابهم . وما زال بها صبابة حتى دخلها العدو بالسيف .

(وسمرقند) بها أبو عبد الله عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ثم محمد بن نصر المروزي وعمر بن محمد بن بجير وآخرون .

(والشاش) وهي آخر بلاد الاسلام التي بها الحديث منها الحسن بن حاجب والهيثم

(١) كذا في الأصل ولعلها (وابن نوبخت) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ابن كليب ومحمد بن علي ابو بكر القفال ثم فرع ذلك وعدم .

(وفرياب) خرج منها جماعة من العلماء أقدمهم محمد بن يوسف الفريابي صاحب الثوري ومنهم القاضي جعفر بن محمد الفريابي صاحب التصانيف سمع بفرياب في سنة ست وعشرين ومائتين .

(وخوارزم) بلد كبير خرج منها جماعة من العلماء من أقدمهم الحافظ عبد الله بن أبيَ .

(وشيراز) خرج منها جماعة من الفقهاء وحديثها قليل وقل من ارتحل اليها « وكرمان » « وسجستان والاهواز وتستر وقومس » اقليم واسع خرج منه محدثون . « والدامغان » مدينة كبيرة « وسمنان » مدينة صغيرة « وبسطام » مدينة متوسطة وهذه المدائن أوائل مدن خراسان من الجهة الغربية .

(وقهستان) أكثر مدائن هذا الاقليم الري ثم زنجان وابهر واقليم قهستان ملاصق لاقليم قومس وهو شرقي وهو غربي قومس متشامل عن العراق متاخم لقزوين .

فالاقليم التي لاحديث بها يروى ولا عرفت بذلك الصين اغاق الباب والهند والسند والخطا وبلغار وصخر القفجاق وسراة وقرم وبلاد التكرور والحبشة والنوبة والبجاة والزنج وإلى أسوان وحضرموت والبحرين وغير ذلك .

واما اليوم فقد كاد يعدم علم الاثر من العراق وفارس واذربيجان بل لايوجد بارّان وجيلان وارمينية والجبال وخراسان التي كانت دار الآثار بل واصبهان التي كانت تضاهي بغداد في العلو والكثرة . والباقي من ذلك ففي مصر ودمشق حرسها الله تعالى وما تاخمهاوشيء يسير بمكةوشيء بغرناطة ومالقة وشيء بسبتة وشيء بتونس نسأل الله حسن الخاتمة . لكن القرآن وفروع الفقه موجود كثير شرقاً وغرباً لكن ذلك مكدر في المشرق وغيره بعلوم الاوائل وارآء المتكلمين والمعتزلة فالامر لله وهذا تصديق لقول الصادق المصدوق لاتقوم الساعة حتى يقل العلم ويكثر الجهل فنسأل الله العظيم علماً نافعاً .

قلت وهذا الفصل كله جزء افرده الذهبي وصدره بالامصار ذوات الآثار وهو مفتقر لقليل تذييل سوى ما الحقته في أثنائه إما مميزاً أو مدرجاً .

ومن الممالك « الروم » التي كرسي ملكه اصطنبول ومنه اذنه وبرصا وغيرها من مجاوريها ففيها علماء وفضلاء بالعقليات وغالبهم بل كلهم حنفيون وقل ان تصل الينا اخبارهم اهـ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net